المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact Factor ISI 1.304

العدد السابع عشر / الجزء الثاني شباط 2023

مشكلات تعليـــم الرحـل في ولاية شمال دارفور(السودان) دراسة تطبيقية على منطقة كبكابية.

The reality of Nomadic education at Northern Dar fur by applying in Kabkabiya area.

د. سعيد علي كوزي عثمان ، أستاذ الجغرافيا المشارك ، ، كلية الآداب ، جامعة الفاشر ، السودان
د. أسمهان عبدالله محمد محمود، أستاذ الجغرافيا المساعد كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجزيرة، السودان

Dr.. Saeed Ali Kuzi Othman, Associate Professor of Geography, Faculty of Arts, El Fasher University, Sudan.
Dr.. Asmahan Abdullah Mohamed Mahmoud, Assistant Professor of Geography, Faculty of Arts and Humanities, University of Gezira, Sudan,

المخلص.

هدفت الدراسة إلى معرفة واقع تعليم الرحل بولاية شمال دارفور بالتطبيق على منطقة كبكابية، والوقوف على الأسباب الرئيسة التي تحد من التحاقهم بالتعليم، ومعرفة الجهود المبذولة لتطوير تعليم الرُحل في دارفور بصة عامة ومنطقة الدراسة بصفة خاصة. ولتحقيق أهداف الدراسة وإحكام سير الدراسة تم اتباع المنهجين الاستقرائي والاستدلالي. اعتمدت الدراسة على البيانات الثانوية ذات الصلة، بالإضافة إلى البيانات الأولية التي تتمثل في الاستبانة حيث تم توزيع (100) استبانة، والمقابلات الشخصية والملاحظات الميدانية المباشرة، ولتحليل البيانات تم استخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS). توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها يقتصر تعليم أبناء الرحل على الذكور دون الإناث لأسباب اجتماعية. الظروف الاقتصادية والبيئة المدرسية هي أهم أسباب تسرب أطفال الرحل من المدارس. هناك قلة في عدد المعلمين الرسمين بالمدارس فقد بلغ عددهم فقط 18معلماً مقابل 14مدرسة

حكومية. أسلوب الترحال والحياة الاجتماعية يقفان عائقا أمام تقديم الخدمات التعليمية للرحل . حظيت محلية كبكابية بأعلى نسبة لتعليم الرحل، حيث بلغت نسبتهم 58% مقارنة بالمحليات الأخرى. وبناءً على ذلك تُوصي الدراسة بالعديد من التوصيات منها: ضرورة زيادة توعية مجتمعات الرحل بأهمية التعليم. دعم الحكومة لأسر الرحل والعمل على استقرارهم حتي يحظى أطفالهم بالتعليم. تدريب المعلمين على العمل في مدارس الرحل بصورة تتماشى مع خصوصيتهم.
كلمات مفتاحية: الرحل- كبكابية- ولاية شمال دارفور- التسرب – التعليم .

Abstract:

The study aimed to know the reality of Nomadic education at Northern Dar fur by applying in Kabkabiya area in order to determine the main reasons that limit their enrollment in education, and to know the efforts made to develop nomads in Darfur in general and the study area in particular. To achieve the objectives of the study the inductive and inferential approaches were followed. The study relied on the relevant secondary data in addition to the primary data which collected using questionnaire, personal interviews and direct field observations. The data was analyzed by using statistical package for social sciences (SPSS). The study found that the most important results include education of nomads for males without females for social reasons, the economic conditions and the school environment are the most important reasons for the leakage of nomads children from schools. There is a few number of official teachers in nomadic schools only 18 teachers for 14 schools. The lifestyle of nomadic movement and social life make difficulties in providing educational services for them. The locality of Kabkabiya received the highest percentage of nomads, with a rate of 58% compared to other localities. Accordingly, the study recommended that: increasing the awareness of nomadic societies about the importance of education is needed. The government should support the nomads for the settlement in order to provide their children with educational services. Training and capacity building for the nomadic teachers is also important

Keywords: Nomads- Kabkabiya- North Darfur State- Leakage- Education.

المقدمة:

يعد تقديم الخدمات بصفة عامة والخدمات التعليمية بصفة خاصة للبدو من أصعب المشكلات التي تعاني منها الدولة نسبة لتعارض حياة الترحال وطبيعة التعليم المتبعة ؛ الأمر الذي دفع بعض الحادبين على مصلحة تعليم البدو للتفكير في إيجاد وسيلة مناسبة للنهوض بالبدو تعليمياً .

لقد أكدت العديد من البحوث والدراسات أن مجتمع الرحل أقل حظاً في التعليم والتنمية، وعدداً كبيراً من الأطفال خارج مظلة التعليم.

ظلت قضيت تعليم الرحل بعد استقلال السودان من أكثر المشكلات والتحديات التي واجهت الحكومات الوطنية المختلفة، فقد تمت العديد من المحاولات لمعالجة تلك المشكلة ولكنها لم تأت بنتائج ملموسة، واستمر تعليم الرحل قاصراً عن تعليم مختلف القطاعات الأخرى بالسودان. وبناءً على هذه النظرة الواضحة والموقف الراسخ من التعليم الابتدائي باعتباره مجانياً والزامياً لكل طفل في عمر المدرسة ،وببيئات تعليمية جيدة ومعلمين اكفاء، تظهر هنا وهناك تحديات كبيرة لتوصيل هذا الحق لجميع مستحقيه .

فالراحل هو ذلك الشخص الذي يقضي حياته كلها متنقلاً من مكان إلى مكان. وهو عضو في جماعة متنقلة ، ليس لها مسكن ثابت معين. فهي تتجول من مكان لآخر حسب فصول السنة ، بحثاً عن الغذاء والماء والمرعى . ولذلك يعتقد كثير من المهتمين بشأن التعليم انه ليست هناك فرصة حقيقية أو عقلانية للرحل كي يستفيدوا من خدمات التعليم النظامي. فان توفير التعليم لمجتمعات الرحل بالطريقة التقليدية يواجه بصعوبات جمة. وتتمثل هذه الصعوبات في المباني المدرسية و المقاعد و الادراج ومستلزمات التدريس وجداول الحصص للمواد الدراسية ، اضافة الى النشاطات التي يمارسها التلاميذ في الفترات الدراسية خلال العام الدراسي .

والحقيقة ان كل هذه الامور ليست متوافقة مع اوضاع مجتمعات ليست مستقرة اطلاقاً في مكان واحد لأكثر من شهور اسابيع قليلة او ربما ايام قليلة.

وسوف تحاول هذه الدراسة البحث في تفاصيل وجزئيات مشكلات تعليم أطفال الرحل في ولاية شمال دارفور دراسة تطبيقية على منطقة كبكابية للوصول لحلول لها.

مشكلة الدراسة:

على الرغم من أن نمط حياة الترحال بشكله التقليدي قد تراجع لدى العديد من الدول إلا أنه مازال يراوح مكانه بصورة كبيرة في السودان وبخاصة ولاية شمال دارفور ومنطقة كبكابية على وجه التحديد، الأمر الذي أقعد المجتمع البدوي عن سبل الرقي والتطور؛ لاسيما تعليم النشء. وحتى تكون مشكلة البحث واضحة يمكن أن نطرح السؤال الرئيس التالي:

ما أهم أسباب تخلف أبناء الرحل عن التعليم ؟ هذا السؤال تنبثق منه الأسئلة الفرعية التالية:

1-ما واقع تعليم أبناء الرحل في منطقة الدراسة ؟

2-ما أسباب تسرب أبناء الرحل عن التعليم ؟

3-ما دور الحكومة ومنظمات المجتمع المدني في تطوير تعليم الرحل ؟

4-ما أنجع السبل للدفع بتعليم الرحل؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى الآتي:

1- الوقوف على واقع تعليم الرحل بمنطقة الدراسة.

2-معرفة الأسباب الرئيسة التي تحد من التحاق الرحل بالتعليم.

3-الوقوف على الجهود المبذولة لتطوير تعليم الرحل.

فروض الدراسة:

تسعى الدراسة للتحقيق في الفروض التالية:

1-إن طبيعة الترحال تعوق تقديم الخدمات التعليمية للرحل وتقلل من قيمة التعليم لدى الرحل.

2-هناك تسرب كبير وسط أبناء الرحل الملتحقين بالتعليم لأسباب ثقافية واجتماعية ترتبط بحياة الترحال.

منهج الدراسة :

للوصول على المعلومات الأولية المتعلقة بجزئيات البحث، انتهج الباحثان المنهج الاستقرائي ، مستخدمين في ذلك الاستبانة، والملاحظة الشخصية المعني بها الوقوف على العادات والقيم المرتبطة بالبحث، وفي ذلك تم توزيع (100) استبانة بصورة عشوائية لتجانس مجتمع الدراسة، كما تم استخدام المنهج الاستدلالي من خلال الوقوف على الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث لإيجاد تعميمات من شأنها العمل على تدعيم سير الدراسة .

حدود الدراسة: تتمثل حدود الدراسة فيما يلي:

الحدود المكانية: تشمل منطقة الدراسة الحدود الإدارية لمنطقة كبكابية الكبرى التي تشمل الآن ثلاث محليات هي (محلية كبكابية- محلية سرف عمرة- محلية السريف بني حسين) وهي إقليم جغرافي واحد متجانس إلى حد كبير تقل فيه الفوارق الطبيعية والبشرية.

الحدود الزمانية: وهي تشمل الفترة ما بين 2004-2022م وهي الفترة التي شهدت اهتمام حكومي كبير بتعليم أبناء الرحل.

الدراسات السابقة :

دراسة أبوهلال وآخرون (1984م) بعنوان " تيسير تعليم البدو " تعرضوا إلي أن البداوة تعني الحياة في البادية وما يتبعها من طريق في الحياة ، حيث يمتهن البدو رعي الماشية ، ولا يستقرون في مكان إلا بمقدار ما تجود به أرضه عليهم من كلأ وماء . ذكرو أن للبداوة قطبان موجب وسالب ، فالقطب الموجب وفيه الصفات الجيدة ، كالشجاعة ، والشهامة ،

والكرم ، والصدق ، وحسن الفطرة . أما القطب السالب وبه صفات رديئة كالسلب والنهب والتخريب واحتقار الصناعات والمهن ، كما تتضمن حياة البدو التناصر والتعاضد وحماية الأفراد والجماعة ، وأيضا يجمع البدوي بين صفاة حدة الطباع ، وسرعة الغضب والجدية في كل المواقف ، بالإضافة لصفة التسامح والبساطة . كذلك أشاروا إلي أن البدو نجدهم دائما بمعزل عن التعليم لعدم إدراكهم إلي القيمة الحقيقية للتعليم ، بالإضافة إلي اعتزازهم بأبنائهم حولهم ، وعملهم بجانبهم .

دراسة الدسوقي (1986م) بعنوان " مجتمع الرعاة في رفاعة شرق " ذكر أن سبب ارتحال الرعاة الموسمي ليس لمجرد عناصر البيئة من ماء ومرعى ، ووجود الحشرات الضارة ، كما هو الرأي التقليدي ، بل إلي تفاعل الإنسان مع مقومات البيئة وتعوده على تكييف حياته بها ، وانتقال ذلك إلي الأجيال كنمط سائد ، فلذا أن أي محاولة للتوطين لابد أن تبدأ بتغيير عناصر البيئة ، ليس لمجرد التغيير المادي ، ولكن بافتراض أن التغيير المادي سوف يؤدي إلي تفاعل نفسي مع التغيير الاجتماعي والاقتصادي .

دراسة العريفي (1975م) بعنوان " نحو سياسة لتنمية المجتمعات الرعوية " ، أشار إلي أن الحكومات ينقصها – حتى الآن – التصور الكامل لكيفية نقل التنمية لهذه المجتمعات ، كما أشار إلي أن السياسة المعلنة لاستقرار الرحل وتنميتهم يجب أن تختلف باختلاف البيئات الطبيعية والخصائص المختلفة . وأن الأخطاء في كثير من الأحيان أدت إلي تفتيت الثروة ، وتفاقم مشكلة الرعي والبداوة في بعض الأماكن ، وذلك لعفوية السياسية المنهجية المتبعة لتنمية الرحل وعدم التزامها باستراتيجية معينة . وأن الاستقرار ممكن في بعض الأقاليم ، بينما في البعض الآخر شبه مستحيل ، وسياسة الاستقرار بشكلها الحالي لم تجد القبول من قبل الرحل لما فيها من تحولات ثقافية مباشرة .

وفي دراسة بارير (1979م) بعنوان " الوجيز في جغرافية السودان " ، أشار إلي أن الحكومة خلال حقب طويلة لم تكن تأبه في قليل او كثير بتطوير البدو ، ولا أثر لتقديم التعليم لتلك القبائل ، وكذلك أن البدو أنفسهم لا يأبهون للخدمات الصحية والتعليمية ، كذلك

أشار إلي أنه نسبة للملكية الجماعية للأرض ، والفردية للحيوان تقل الفائدة لاستمرار تزايد القطعان .

دراسة Khogali (1980)، والتي جاءت بعنوان " استقرار البدو في شمال ووسط السودان " توصلت الدراسة إلي أن أهم الأسباب التي ساعدت على تغذية نمو حياة البداوة في السودان هي الخلفية الثقافية للبدو ، والبيئة الطبيعية . وبين أن الحل الوحيد لعلاج البداوة هو تصميم مبادئ خدمية تلقائية تؤدي إلي استقرارهم بصورة أكثر جاذبية اجتماعياً ومادياً .

تناولت هذه الدراسات تعليم الرحل داخل وخارج السودان بصفة عامة، وبالتالي سوف تفيد هذا البحث في إطاره العام وتعتبر لبنة أساسية ترتكز عليها هذه الدراسة. وما تضيفه هذه الدراسة هي إنها تناولت منطقة لم يجد الباحثين دراسة لها من قبل كما إن البيئة الجغرافية والخلفية الثقافية لمجتمع الدراسة تختلف نسبياً عن تلك التي تمت دراستها وبالتالي يصعب تعميم نتائج تلك الدراسات على منطقة الدراسة، كما أن تلك الدراسات قديمة نسبياً الأمر يبعدها عن التطورات الاقتصادية والاجتماعية السائدة الآن في منطقة الدراسة.

الخصائص الجغرافية لمنطقة الدراسة

الموقع والمساحة:

تقع منطقة الدراسة بين دائرتي عرض (¯25 13°-¯16 14°) شمالا وخطي طول (¯30 23° - ¯30 24°) شرقاً، وجغرافياً تقع منطقة الدراسة في الجزء الغربي لشمال دارفور، حيث تحدها من الشمال الحدود الإدارية لكتم ومن الاتجاه الغربي ولاية غرب دارفور، وفي الاتجاه الجنوبي حدودها الإدارية تلامس جنوب وغرب دارفور، أما من الناحية الشرقية الحدود الإدارية لريفي الفاشر (كوزي،2004م،26).

تبلغ المساحة الكلية للمنطقة(11555) كلم² وهذه المساحة تعادل حوالي 9,4% من المساحة الكلية لولاية شمال دارفور التي تبلغ 122479 كلم² (ديوان الحكم الاتحادية، 1999م).

ولكن في الآونة الأخيرة بعد عام 2006م انقسمت منطقة كبكابية إلى ثلاث محليات (حسب التقسيم الإداري الحديث) هي محلية كبكابية الأم ومحلية السريف التي تجاورها في الاتجاه الغربي ومحلية سرف عمرة التي تجاورها من الجهة الجنوبية الغربية هذا الموقع الممتاز جعلها منطقة تتوسط ولاية دارفور الأربع (إبراهيم،2019م).

شكل (1) الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة

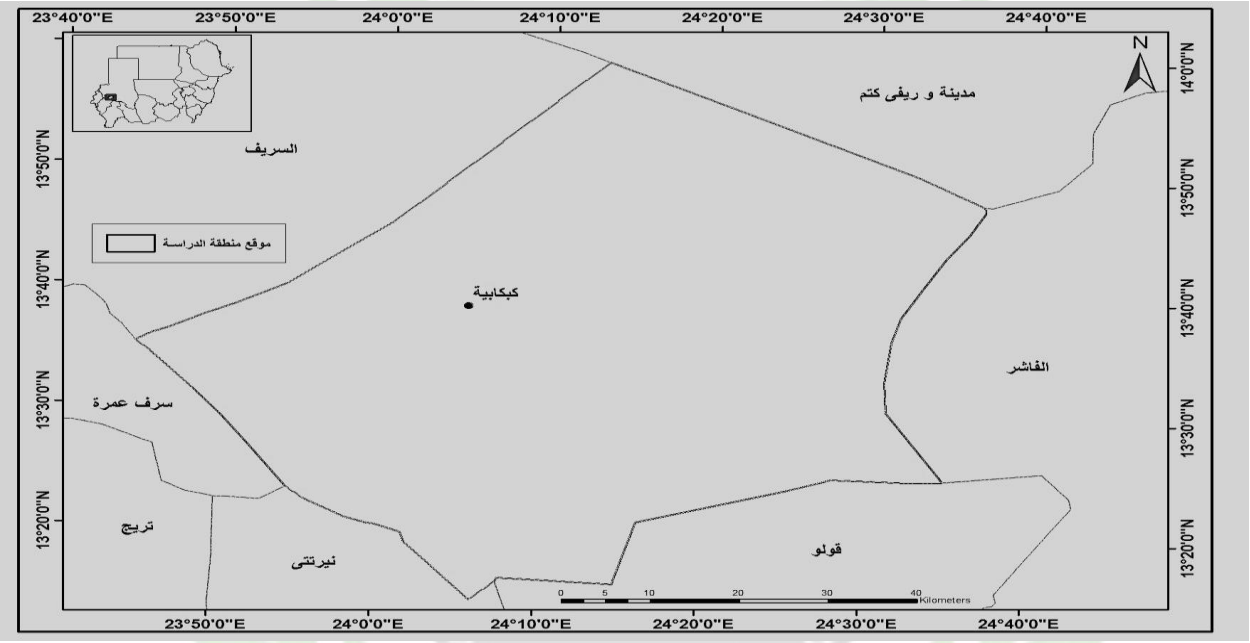

المصدر : وزارة التخطيط العمراني، الفاشر، 2022م

المناخ:

إن مناخ منطقة الدراسة ذو خصوصية حيث نجده يختلف عن العروض المدارية الموازية له وذلك لتأثره الكبير بكتلة جبل مرة التي تقع إلى الجنوب والجنوب الشرقي منها فضلاً عن أن المنطقة كلها امتداد لسلسلة جبل مرة، وفي هذا الصدد ذكر(إبراهيم، 2019م،67) أن كمية الأمطار التي تهطل بمنطقة الدراسة أعلى بكثير من تلك التي تسقط في المناطق المحاذية لها في دوائر العرض مثلاً الفاشر التي تقع على دائرة عرض (¯38 13°) متوسط الأمطار فيها 286 ملم بينما أم كدادة التي تقع على دائرة عرض (¯36 13 13 ° 36¯) معدل الأمطار فيها 262 ملم في السنة حيث أن متوسط الأمطار في كبكابية

ISSN: 2709-5312

التي تقع على دائرة عرض (¯39 13°) خلال الفترة 1990-2015م هي365 ملم أي بمعدل يزيد79 ملم عن مدينة الفاشر، و103 ملم عن مدينة أم كدادة؛ وهاتين المدينتين تقعا في نفس العروض تقريباً. وبصفة عامة يعتبر مناخ منطقة الدراسة هو مناخ جاف شتاءً وحار ممطر صيفاً يتميز بثلاث فترات تختلف فيها درجات الحرارة والرطوبة وهو شبيهه بالمناخ القارئ ويتأثر إلى حد كبير بمناخ جبل مرة إن لم يكن مثله تماماً.

السطح والتضاريس:

إن سطح المنطقة بصفة عامة يعتبر امتدادا لسلسلة جبل مرة وهو عبارة عن هضبة متوسط ارتفاعها بين (1500-2000) قدم. تنحدر هذه الهضبة انحداراً بطيئاً من الناحية الشرقية إلى الغرب (كوزي،2004).

خلال هذه الهضبة نجد هناك تنوع تضاريسي يتمثل في السهول والأراضي الجبلية والمجاري المائية، حيث نجد في الاتجاه الشرقي توجد سلسلة جبال سي التي تمتد من الجنوب إلى الشمال في شكل سلاسل جبلية تعمل كحصون طبيعية في الاتجاه الشرقي للمنطقة. كذلك في الاتجاه الجنوبي نجد جبل شوبا وكشمر وجبل ساقة وجبل أوري وفي الاتجاه الشمالي توجد جبال أرمبا وجبل جلي، وفي الاتجاه الغربي هناك جبال جبل المضيب وجبل سير .

أيضاً توجد بمنطقة الدراسة سهول متوسطة الارتفاع تتخللها كتل جبلية متناثرة وتتكون من نطاقات رملية ومساحات صخرية تنمو بها الأشجار والحشائش، وهذه السهول تغطيها أودية كبيرة تنبع من سفوح جبل مرة الغربية وقد استغلت هذه السهول في زراعة المحاصيل الزراعية المطرية والمروية.

جيومرفولوجية المنطق أثرت كثراً في النشاط الاقتصادي الذي يمارس في المنطقة، إذا كان زراعي أو رعوي أو تجاري، حيث تأتي الزراعة في المرتبة الأولي ويليها الرعي ثم التجارة، وذلك بناء على المعطيات البيئية السائدة في المنطقة.

الموارد المائية:

تعتبر الأمطار السنوية أهم عناصر الموازنة المائية في منطقة الدراسة، وهي تلعب دوراً أساسياً في كافة الأنشطة البشرية والإحيائية التي يمارسها الإنسان في المنطقة فضلاً عن دعمها السنوي لمخزون المياه الجوفي والمصادر السطحية الأخرى. كذلك من أهم الموارد المائية هي الأودية الموسمية التي تنحدر من سفوح جبل مرة عابرة المنطقة متجهة غرباً صوب بحيرة تشاد وهي تعمل على تغذية التكوينات الطينية الفسيحة التي تكونت نتيجة لإرساباتها السنوية عبر مئات السنين.

ويعتبر كل من وادي باري ووادي برقو وروافدهما من أهم المصادر المائية في المنطقة بعد الأمطار السنوية حيث قدر المتوسط السنوي للجريان خلال الفترة ما بين 1995-2015م بحوالي(66264146,9) ملم^3 في السنة (إدارة المياه الجوفية والوديان،2015م).

وتقدر المياه المخزونة في حوض وادي باري وحدها حوالي 36 مليون متر مكعب في مساحة تجمع تقدر بحوالي 800 مليون متر مكعب، أما حوض وادي برقو لم توجد له أي دراسة ولكنه بأي حالٍ من الأحوال لا تقل المياه المخزونة فيه عن 50% من مخزون وادي باري (عبد الرحيم وآخرون،1991م).

بالإضافة إلى الأودية الموسمية هناك بعض الموارد المائية التي ترتبط بموسم الخريف متمثلة في البرك والرهود التي يعتمد عليها في كثير من الأنشطة الاقتصادية والزراعية وشرب الحيوان.

كذلك هناك بعض العيون والفورات التي توجد في المنطقة خاصة في الأجزاء الشرقية من المنطقة.

من جانب آخر نجد أن كثرة الأودية الموسمية وغزارة الأمطار والتكوينات الجيولوجية للمنطقة ساعدت على سهولة الحصول على مياه الآبار في موسم الجفاف وهي في الغالب تتراوح ما بين 4-14متراً في المناطق التي تبعد عن ضفاف الأودية و 3-6 أمتار على ضفاف الأودية.

أهم الأنشطة البشرية:

أولاً: الزراعة:

تعتبر الزراعة من أهم الأنشطة البشرية التي تمتاز بها منطقة الدراسة وهي تمارس في موسم زراعة مطرية حيث تزرع الحبوب الغذائية مثل الدخن والذرة والزراعة المروية حيث تزرع العديد من المحصولات النقدية كالخضراوات والفول المصري، وحسب ما أورده (إبراهيم، 2019، 114) إن العاملين بالزراعة بنوعيها النباتي والحيواني يمثلون حوالي 81% من جملة السكان بالمنطقة وتمارس الزراعة بصورة أساسية على السهول ومنحدرات الجبال وعلى التربة الفيضة في حواف وبطون الأودية الموسمية، وتبلغ جملة الأراضي الزراعية وغير الزراعية بالمنطقة حوالي (632) كلم² وهذا ما يعادل 54.7% من جملة مساحة منطقة الدراسة (وزارة التخطيط العمراني،2011م). وبالتالي تعتبر المنطقة الزراعية الأولى في شمال دارفور.

ثانياً: الرعي:

تعتبر منطقة الدراسة من أهم المناطق الرعوية في إقليم دارفور بصورة عامة وشمال دارفور بصف خاصة، وذلك لما لها من مقومات طبيعية تجعلها في مقدمة مناطق الإنتاج الرعوي، وحسب الدراسة التي أجراها (كوزي،2004، 79) و(إبراهيم ،2019م) أن نسبة الرعاة تصل إلى حوالي 18% من مجتمع المنطقة ولكن في الواقع زادت هذه النسبة بصورة كبيرة مقارنة بما هو وارد في الدراسات السابقة، ومن أهم الحيوانات التي تربى هي الأبقار والإبل والأغنام والماعز.

ثالثا: التجارة:

منطقة الدراسة هي منطقة انتقالية بين شمال وجنوب وغرب دارفور لذلك تاريخياً تمر عبرها العديد من الطرق والقوافل التجارية، فضلاً عن ميزتها التفضيلية في تجارة المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية وتجارة الإبل التي تتركز في منطقة سرف عمرة (أكبر سوق للإبل في إقليم دارفور) .

تعليم الرحل في منطقة كبكابية (منطقة الدراسة):

في سبتمبر (1990م) عقد مؤتمر لتحرير سياسات التعليم في السودان حيث أوصي المؤتمر بأن تبدأ الدراسة باستيعاب الراغبين في التعليم بنسبة 100% قبل نهاية (1996م) وبعدها يتم التخطيط وفق قرارات الاستراتيجية القومية الشاملة لسد الفجوة بين الراغبين في التعليم والبيانات الإحصائية للسكان للفئة العمرية بين (6–14) سنة للوصول إلي إلزامية التعليم الأساسي مع نهاية (2002م) (كوزي: 2004).

شكل رقم (1) الحالة التعليمية للرحل مقارنة بالمستقرين

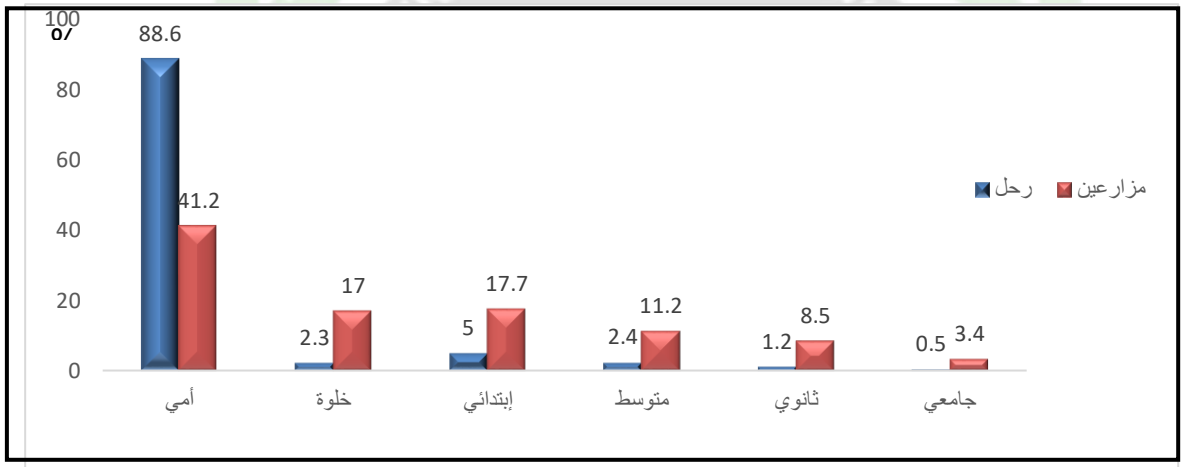

المصدر : العمل الميداني ، 2022م

ولكن ظلت مدارس الرحل بالمنطقة ارتبطت بصورة أساسية بالمستقرين من الرحل ، وفي هذا الخصوص توصلت الدراسة الميدانية من خلال الشكل رقم (1) إلى أن نسبة الأمية وسط أطفال الرحل مرتفعة جداً وصلت 88.6%، ويتضح هذا الفارق إذا قارنا هذه النسبة بنسبة نظرائهم المستقرين من غير الرحل في منطقة الدراسة مما يعني بوضوح تعارض حياة الترحال مع التعلم الذي يحتاج إلي استقرار.

ومن جانب آخر لم تنقل تجربة المدارس المتنقلة التي عمت كل ولايات دارفور إلى منطقة الدراسة بأي شكل من الأشكال حتى الآن، ويرجع ذلك للظروف الأمنية غير المستقرة ؛ فلذا

ظل تعليم الرحل متعثراً حتى الآن على الرغم من أفضليته عن الماضي لافتتاح عدد من المدارس في الدمر منذ 1997م واستقرار عدد كبير من الرحل.

بلغ عدد مدارس الرحل بمنطقة الدراسة حوالي 14 مدرسة موزعة على محلياتها المختلفة ، وهذه المدارس في جملتها تعادل 16.3% من جملة مدارس الرحل بولاية شمال دارفور البالغ عددها 86 مدرسة حسب تقرير التخطيط التربوي لعام (2022م) نجد أن حوالي 35.7% من هذه المدارس مجمدة إما بسبب تسرب الطلاب ، أو للظروف الأمنية غير المستتبة التي أدت لتسرب الأطفال والمعلمين من المدارس، هنالك العديد من المدارس قد توقفت تماماً عن الدراسة خاصة في وحدة السريف، حيث توقفت 4 مدارس من 6 مدارس تمثل كل مدارس المحلية(66.7%)، ومن الملاحظ أن عدد التلاميذ بسيط جداً مقارنة بعدد الرحل حيث بلغت نسبة الأطفال في سن التعليم (6-15) سنة 34.8% وبلغت نسبة عدد التلاميذ والتلميذات قيد الدراسة 7.3% من العدد الكلي للأطفال في سن المدرسة .

جدول (1) عدد الطلاب والمعلمين بمنطقة الدراسة

عدد التلاميذ			المعلمين		
ذكور	إناث	العدد الكلي	المعلمين الرسميين	المعلمين المتطوعين	العدد الكلي
482	367	849	18	9	27

المصدر: العمل الميداني، 2022م

شكل (2) عدد الطلاب والمعلمين بمنطقة الدراسة

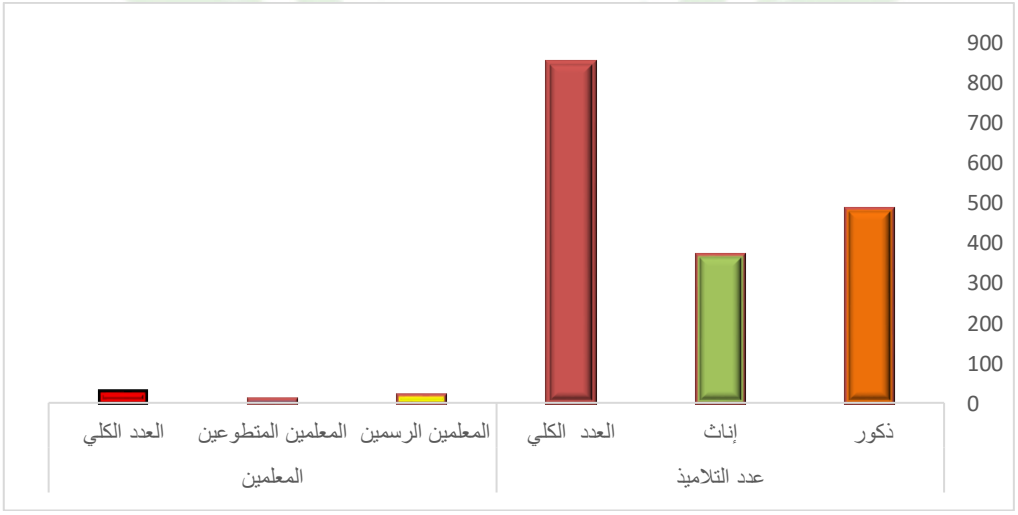

المصدر: العمل الميداني، 2022م

يتضح من بيانات الجدول (1) والشكل (2) أن نسبة التلاميذ الذكور بلغت56.8%، بينما بلغت نسبة الإناث 43.2%، مما يعني أن الفجوة ما بين تعليم الأولاد والبنات ما زالت كبيرة ويرجع ذلك لعدم قناعة الرحل بجدوى تعليم البنات ، وحتى النسبة المذكورة رغم تواضعها أمام نسبة الأولاد فهي ترجع بصورة أساسية للمستقرين، وبالمقابل بلغ عدد المعلمين 27 معلماً، بلغت نسبة المعلمين الرسمين 66.7%، والبقية متطوعون بنسبة بلغت 33.3%.

ونلاحظ قلة عدد المعلمين مقارنة مع عدد الطلاب حيث نجد متوسط عدد التلاميذ للمعلم 31 تلميذ مقابل الاستاذ الواحد، مما يكشف بوضوح مدي تعثر العملية التعليمية بسبب نقص المعلمين . كما اتضح اعتماد تعليم الرحل على الذكور دون الإناث ، وهذه الظاهرة نجدها في كل ولايات دارفور، رغم الحاجة الماسة إليهن في بعض المهام التي لا يوفرها المعلم خاصة المسائل المتعلقة بالنساء كالتوليد وكيفية رعاية الأطفال وتدبير شئون المنزل ، لا سيما وهناك أصوات ارتفعت وسط التربويين تطالب بأن يكون معلم الرحل معلماً متكاملاً ، فإلى جانب الدور التعليمي منوط به جانب الرعاية الصحية الأولية والإرشاد الديني والاجتماعي .

ويرجع تبرير الجهات المختصة لعدم تعين المعلمات ، لدي الرحل إلي أن اختيار المعلمين أنفسهم ورغبتهم في مزاولة تعليم الرحل تفوق رغبة المعلمات كذلك نمط الحياة التي يعيشها الرحل تقسو على المعلمات ، أيضاً ضرورة أن يذوب معلم الرحل وسطهم ويكون جزء منهم ، الأمر الذي يصعب على المعلمات ، كذلك طبيعة حياة الرحل تتطلب أن يكون المعلم من أبنائهم جعل من الصعب إيجاد معلمات من مجتمع الرحل لعدم اهتمامهم بتعليم الإناث أصلاً.

والناظر الى توزيع التلاميذ بمنطقة كبكابية يجد أن أعلى نسبة لعدد تلاميذ الرحل كما موضح في الشكل (3) بمحلية كبكابية حيث بلغت نسبتهم 58% ، تليها محلية سرف عمرة بنسبة 34% ، ثم السريف بنسبة 8%، ولكن نلاحظ تفوق محلية كبكابية في تعليم الرحل ، وذلك لاستقرار عدد كبير من الرحل في الدمر حول كبكابية بعكس محلتي السريف

وسرف عمرة ، حيث يكثر الترحال وعدم الاستقرار إضافة لتشجيع النيرين من أبناء الرحل بكبكابية لتعليم الرحل بصورة أكثر فعالية .

شكل رقم (3) نسبـة التلاميذ في كل محلية

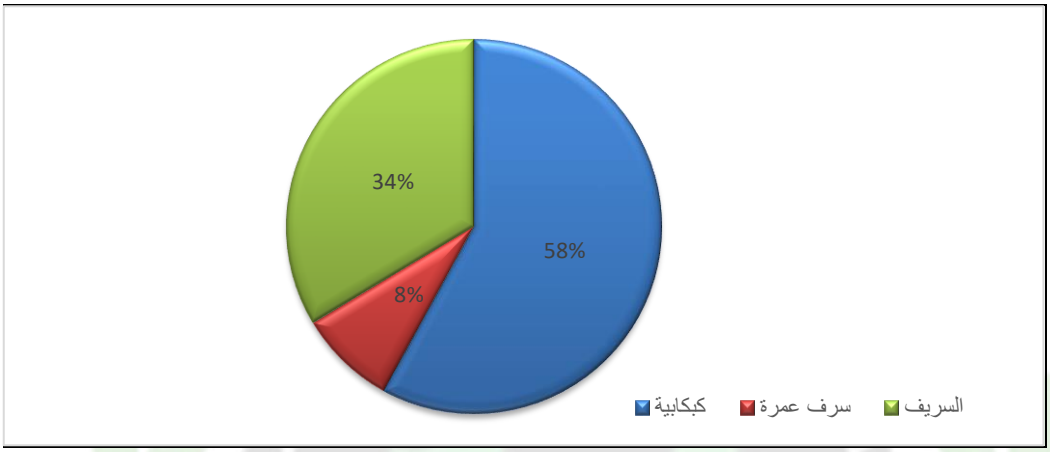

المصدر: العمل الميداني، 2022م

ومن خلال الدراسة الميداني أتضح أن هنالك رغبة أكيدة لمعظم الرحل في تعليم أبنائهم حيث ذكر 81.9% من عينة الدراسة بأنهم يرغبون في تعليم أبنائهم ، بينما رفض 18.1% منهم فكرة دخول المدرسة ، وكان رأيهم إذا كان لابد من التعليم فيفضلون الخلوة على التعليم النظامي ، ويرجع سبب ذلك لعدة أسباب منها :

1. اعتقادهم أن المدرسة تغير من مفاهيم وسلوك الأبناء النابعة من تقاليدهم .
2. مساعدة الأبناء لأسرهم في إدارة وتربية الحيوان .
3. الشعور بعدم جدوى التعليم ويضربون أمثالاً على ذلك بالذين تعلموا من أبنائهم ولم يجدوا وظائف (تقييم مادي) .
4. يخشى البعض اتجاه أبنائهم بعد التعليم إلي المدن واستقرارهم فيها وعدم العودة لهم .
5. ينساق بعضهم وراء عواطف الأبوة والأمومة فلا يرضي بمفارقة ابنه .
6. ارتفاع تكاليف التعليم ، وضمور دخول بعض الأسر مقروناً بالجهل بفائدة التعليم حال دون التفاعل مع التعليم .

جهود التعليم في منطقة الدراسة :

هنالك بعض المجهودات التي تبذل من أجل تعليم الرحل في منطقة الدراسة خاصة من قبل أبناء الرحل المتعلمين ، وذلك عن طريق التوعية وشحذ الهمم للتعليم ، وإيواء بعض أبناء الرحل بصورة خاصة في المنازل ، وبرز ذلك بصورة واضحة في السنوات الأخيرة من خلال قناعة معظم الرحل بضرورة التعليم . وخلال العمل الميداني أتضح أن 29% من عينة البحث قالوا نعم للتعلم ولهم أبناء في سن التعليم قد أدخلوا جميع أبنائهم الذكور المدارس .

من جانب آخر التزمت منظمة اليونيسيف بتوفير بعض المعينات مثل التباشير والسبورات المتحركة ، بالإضافة إلي الدعم غير المنتظم متمثلاً في المشمعات وبعض الوسائل التعليمية كالمسجلات، ولكن هذا الدعم لم ترتق إلى مستوى الدعم الذي تقدمه المنظمة لمدارس الرحل في المناطق الأخرى من الولاية ويعللون ذلك بسوء الأحوال الأمنية في منطقة الدراسة .

كذلك هنالك بعض الجهود الشعبية للنهوض بالتعليم ، وهذه تتمثل في بناء الداخليات والفصول وحوافز وإعاشة المعلمين ، خاصة المتطوعين منهم ، ولكن هذه الجهود مهددة بالضمور وعدم الاستمرارية لمحدودية إمكانية المواطنين وعدم تفهمهم الجيد لأهمية التعليم، إضافة للإهمال الواضح وتقاعس الحكومة من القيام بدورها تجاه تعليم أبناء الرحل، كل ذلك مصحوباً بالظروف الأمنية التي دائماً تكدر صفو المواطن .

هنالك بعض الرحل في منطقة الدراسة قد أدخلوا أبنائهم في المدارس المتحركة التي تتبع إدارياً لمحلية كتم ولكنهم واجهوا بعض الصعوبات المتمثلة في أن هذه المدارس تتبع لعشائر معينة وبالتالي يترتب على ذلك عدم ضمان استقرار هذه العشائر في المنطقة نسبة لارتباط مجيئهم إلى المنطقة بالماء والكلأ ، وبالتالي صعوبة التحرك معهم في الحل والترحال ، لتعود الرحل المسير وسط الأسرة والعشيرة . كذلك شعور البعض بالحرج من مشاركة الآخرين مدارسهم لأن المدارس المتنقلة قامت على الأساس الأسري .

ISSN: 2709-5312

المشكـلات التي تواجه تعلـيم الرحـل :

أتضح من العمل الميداني وجود رغبة أكيدة لغالبية الرحل في التعليم ، نتيجة للوعي المتزايد في أواسطهم، ولكن هناك العديد من المصاعب والتحديات التي تقف عقبة أمام تعليم أطفال الرحل بمنطقة الدراسة والحد منها وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

اولاً: مشكلات عامة:

تتمثل في الآتي:

1. التسرب :

من أكبر العوائق التي تهدد تعليم الرحل في كل ولايات دارفور ولكن منطقة الدراسة هي الأكثر معاناة في ذلك على الرغم من صعوبة معرفة العدد الحقيقي من التلاميذ الذين يتسربوا كل سنة . ذلك نسبة لضعف نظام تسجيل البينات وحفظها وصعوبة الحصول عليها بالمحليات يتعذر الحصول على إحصاءات تساعد في تحديد مدي التسرب من مدارس الرحل ، و من خلال الدراسة أتضح إنه من بين 264 تلميذاً أجريت عليهم الدراسة قد تمكن من إكمال السنوات الدراسية الأربعة الأولي 66 تلميذ، أي ما نسبته 25% منهم .ومن جانب آخر إن نسبة تسرب التلميذات أكبر بكثير من التلاميذ فمن بين 56 تلميذة التحقن بالسنة الأولي ، بلغ عدد اللائي وصلن إلى السنة الرابعة فقط 9 تلميذات بنسبة بلغت(16.1%)، وهذا يرجع للزواج المبكر للبنات وعدم قناعة الرحل بتعليم البنات.

ومن خلال الدراسة الميدانية أتضح أن 85.9% من أبناء الرحل قيد الدراسة هم بالمدارس الأساسية. ولا يواصلون تعليمهم إلى المراحل التالية وما يصل منهم للمرحلة الثانوية لا يتجاوز 12%. وهذا الفارق الكبير في النسب يرجع لوجود تسرب كبير في مرحلة الأساس.

وعند محاولة معرفة أسباب التسرب بين الذين تركوا الدراسة ، توصلت الدراسة إلى أنه هنالك العديد من الأسباب تتداخل مع بعضها البعض فتؤدي في نهايتها إلى تسرب التلاميذ من المدارس. والشكل رقم (3)

ISSN: 2709-5312

شكل رقم (3) أسبـاب تسـرب أبنـاء الرحـل عـن المـدارس

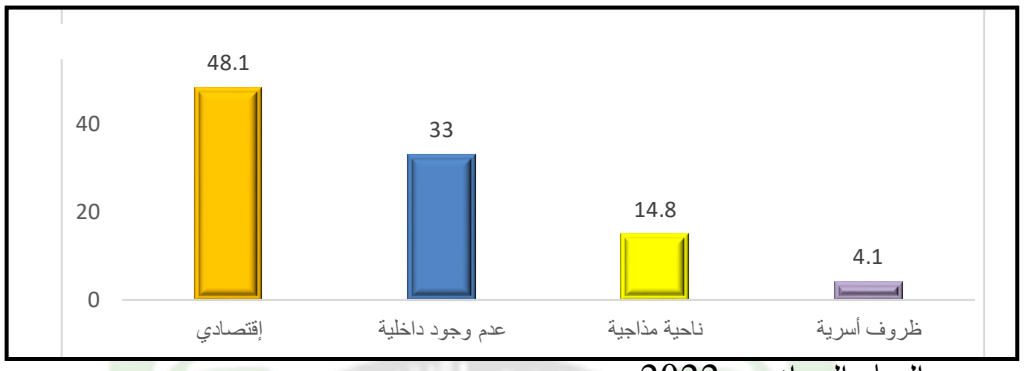

المصدر : العمل الميداني ، 2022م .

ومن خلال الشكل رقم (3) ، يتضح أن العامل الأساسي في التسرب لغالبية الذين تركوا الدراسة يرجع لأسباب اقتصادية وهذا ما أكده حوالي 48.1% من مجتمع الدراسة، ولكن في الواقع من ناحية عملية نجد وضع الرحل الاقتصادي يعتبر أفضل مقارنة بالمجتمع من حولهم؛ لامتلاكهم لأعداد كبيرة من الثروة الحيوانية ولكن العلة تكمن في عدم قناعتهم بالصرف على التعليم ، الأمر الذي يشعر التلاميذ بالحرمان فيضطرون لترك المدارس.

وذكر حوالي 33% من مجتمع الدراسة أن عدم وجود داخليات لإيواء التلاميذ، هو أحد أهم العوامل التي أدت الى التسرب الدراسي وسط إبناء الرحل، حيث فقد العديد من أبناء الرحل فرص التعليم بعد تجفيف الداخليات لا سيما وأن معظم الرحل ليس لهم أسر مستقرة في القرى الكبيرة أو المدن يمكن أن تأوي أبناءهم ، ففي العقود الماضية عندما كان يسود الأمن والسلام بين الناس نجد عدداً من الرحل يتركون أبناءهم مع أصدقائهم في القرى والمدن إبان فترة الدراسة ، ولكن الحروب القبلية الطارئة على المنطقة قد ألقت بظلالها على العلائق الاجتماعية بين الناس .

أعزى حوالي14.8% من عينة الدراسة التسرب للناحية المزاجية، فعندما يصل أبناء الرحل طور المراهقة يفكرون في الحياة الاجتماعية في البادية وما بها من حلٍ وترحال، وبطولات وطرب ومآل الأتراب . وعزي 4.1% من مجتمع الدراسة ترك الدراسة يعود لظروف أسرية كأن يكون هو الابن الأكبر، أو في حالة وفاة الوالد، أو قد يزوج وهو طالب في المدرسة

خاصة أن ظاهرة الزواج المبكر نجدها منتشرة بصورة كبيرة فكثراً ما تكون سبب لترك الدراسة .

هذه العوامل مشتركة عند مقارنتها بحياة الدراسة المفعمة بالانضباط والقيود التي لا تتناسب تماماً مع حياتهم الاجتماعية؛ من أهم العوامل المشجعة على الفرار من التعليم خاصة إن الفرد منهم عندما يصل طور الرشد عندئذ يكون– شبه ممتلك لقراره في مجتمع الرحل وبالتالي يكون حراً في اتخاذ القرار الذي يراه .

2. المورث الاجتماعي والثقافي :

تعتبر المدرسة مؤسسة للتعليم والمعارف الحديثة تختلف نوعاً ومقداراً عن مؤسسة التعليم التقليدية في بلادنا ، وعليه فإنه من المتوقع أن يحدث ذلك قدراً ولو محدداً من التنافس بينها والخلوة خاصة في مجتمعات تمثل فيها الخلوة أو الفكي مؤسسة اجتماعية راسخة.

يعتبر شيخ الخلوة (الفكي) من أقوي المحرضين ضد التعليم المدرسي وسط مجتمع الدراسة مستغلاً تقديس المواطنين له ، ودافعة في ذلك إدراكه أن التعليم يقوض دوره في المجتمع كمرشد وقائد روحي أوامره مسلم بها ، خاصة وأن معظمهم يعيشون عالة على غيرهم ، فلا يعملون بأي حال من الأحوال ، ويتعلم من ضل منهم بعض الأسحار والتعاويذ فتكن وسيلة كسبه الوحيدة ، وبالتالي تعليم الأبناء يعني الوعي وسط الرحل وهذا ما يخشونه ومن خلال العمل الميداني أتضح أن 18.1% من مجتمع الدراسة يرفضون مبدأ فكرة المدرسة ويؤيدون بشدة الخلوة .

3- دور الحكومـــة :

لم يكن دور الحكومة كما ينبغي في تشجيع ودعم تعليم أبناء الرحل حيث ظل الرحل يعاملون معاملة عامة الناس دون مراعاة لخصوصيتهم الثقافية وطريقتهم في الحياة، علماً بأن معظم دول العالم التي بها رحل ابتدعت طرقاً خاصة لتعليمهم ومن هذه الدول ليبيا

وإيران والسعودية . وظلت معظم الشعارات التي ترفعها الحكومات من أجل تعليم الرحل هي شعارات جوفاء لم تر النور حتى الآن ، ولم تكن غير غايات لمكاسب سياسية بحتة . حتى الآن لم تنقل تجربة المدارس المتنقلة التي تم إقرارها عام 1993م إلي المنطقة رغم تطبيقها ونجاحها في العديد من مناطق البدو في الولاية وخارجها .

ثانياً: المشكلات المتعلقة بالبيئة المدرسية :

هنالك العديد من الاشكالات التي تتعلق بتوفير البيئة الصالحة للتعلم وسط الرحل لها تأثيرها المباشر في العملية التعليمية منها :

1. عدم الانتقال التدريجي من مجتمع الرحل الحر إلي مجتمع الدراسة زي القيود والنظم.
2. عدم توفير المعدات المدرسية الكتاب – الكراسات – السبورات – التباشير وغيرها .
3. سوء البنية التحتية للمدارس ، حيث نجد كل المدارس مبنية بناءً مؤقتاً مما يتطلب تجديدها سنوياً الأمر الذي يكلف كثيراً .

ثالثاً: المشكلات الفنية :

1. من شروط المنهج أن يتم اشتقاقه من بيئة وحاجيات التلاميذ ، الملاحظ أن منهج التعليم العام الذي يطبق للبدو لا يتناسب مع احتياجاتهم.
2. نقص المعلمين وعدم كفاءة معظمهم أثر بصورة مباشرة في استقرار تعليم الرحل وقلل من كفاءة مخرجاته.
3. التبعية الإدارية وغياب الشخصية الاعتبارية لإدارة تعليم الرحل ، فالوضع السائد الآن هو إدارة تعليم الرحل تتبع (إدارياً) إلي مدير عام التعليم بالولاية. في حين أنها فنياً هي جزء أصيل من التعليم الأساسي.

النتائج والتوصيات:

أولاً النتائج:

من خلال العمل الميداني والاطلاع على أدبيات البحث توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. يتركز تعليم الرحل على الذكور دون الإناث لأسباب اجتماعية تُعلي من شأن الذكور وتقلل من شأن الإناث.

ISSN: 2709-5312

2. هناك تسرب كبير وسط التلاميذ في مدارس الرحل بسبب عدم قناعة أولياء الأمور بالصرف على التعليم والبيئة التعليمية الطاردة التي تحيط بتعليم الرحل.
3. الوضع الاجتماعي للمرأة وسط الرحل متخلف لدرجة بعيدة ، مما جعلها محاطة بسياج من العادات والتقاليد الصارمة التي تحد من حريتها وتقف عثرة أمام تعليمها.
4. حظيت محلية كبكابية بأعلى نسبة لتعليم الرحل حيث بلغت نسبتهم 58% مقارنة بمحليتي السريف وسرف عمرة .
5. أسلوب حياة الترحال والحياة الاجتماعية يقفان عائقا أمام تقديم الخدمات التعليمية للرحل بصورة مثالية.
6. هناك قلة في عدد المعلمين الرسمين بالمدارس فقد بلغ عددهم فقط 18معلماً مقابل 14مدرسة حكومية وهم غير مدربين التدريب اللازم الذي يناسب طبيعة الرحل والترحال.

ثانياً: التوصيات:

بناء على النتائج السابقة توصي الدراسة بالآتي:

1. يجب ابتكار أساليب إسعافيه خاصة بالتعليم تناسب طبيعة الرحل في حالتي الاستقرار والترحال (في الوقت الراهن) إلي حين إمكانية استيعابهم في الخدمات العامة للتعليم مرعاه لخصوصيتهم وضماناً لحقوقهم التنموية.
2. يجب السعي الجاد لإيجاد برامج توعوية فاعلة تستهدف الرحل بحيث تعظم من قيمة التعليم وترفع من شأنه حتى يصبح ثقافة شائعة وسط الرحل.
3. دعم الحكومة لأسر الرحل والعمل على استقرارهم حتي يحظى أطفالهم بالتعليم بصورة مثالية .
4. تدريب المعلمين على العمل في مدارس الرحل بصورة تتماشى مع خصوصيتهم.

5. توعية أولياء الأمور في مجتمعات الرحل بأهمية تعليم الإناث، ومحاولة التقليل من النظر السلبية تجاه المرأة .

6. ضرورة إعادة الداخليات لمدارس الرحل لضمان علاج مشكلة السكن والإعاشة والتي تعتبر من أهم أسباب تسرب الطلاب وتركهم لمقاعد الدراسة.

المصادر المراجع:

-إبراهيم، مبارك محمد (2019م) معوقات الإنتاج الزراعي بمحلية كبكابية خلال الفترة 1990م – 2015م، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الدراسات العليا، جامعة الفاشر

– أبوهلال، وأخرون (1984م) تيسير تعليم البدو في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة البحوث التربوية، تونس.

-بارير . ك.م (1979م) الوجيز في جغرافية السودان ، الطبعة الثانية ترجمة رياض وآخرون ، مروي بوكشب ، الخرطوم .

-الدسوقي ، كمال (1986م) مجتمع الرعاة في رفاعة شرق ، تحليل سيكو انثريولوجي، مجلة أم درمان الإسلامية العدد الأول

-كوزي، سعيد علي (2004م) الرعي المتنقل وأثره على البيئة والمجتمع في ولاية شمال دارفور دراسة حالة محلية كبكابية، رسالة ماجستير غيرمنشورة كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم.

إبراهيم ، حامد (2000م) رؤية انثروبولوجية نقدية لتجربة تعليم البدو والرحل في كردفان دارفور (1993م – 1996م) مجلة دراسات السلام ، مركز دراسات السلام بجامعة زالنجي، دار جامعة القرآن الكريم للطباعة والنشر .

عيسي ، سعاد إبراهيم (2001م) : تجربة تعليم الرحل بالسودان بالتركيز على ولاية دارفور ، المؤتمر الثاني لتعليم الرحل في السودان 29-30 ديسمبر 2001م.

بركة محمد زايد (2001م) المدرسة المتنقلة، المؤتمر الثاني لتعليم الرحل في السودان 29-2001/30م

العريفي ، صالح عبد الله (1975م) : نحو سياسة تنمية المجتمعات الرعوية المؤتمر الزراعي الأولي 23-26 إبريل 1975م ، وزارة الزراعة والأغذية والموارد الطبيعية ، مطابع قسم الإعلام والثقافة الزراعية

إدارة التخطيط التربوي لتعليم (2003) تقرير عن مدارس الرحل بالولايات، الخرطوم .

عمر الأمين ، (2002) تجربة تعليم الرحل بولاية شمال كردفان (حالة قبيلة الكبابيش) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، جامعة الخرطوم.

وزارة التخطيط العمراني، الفاشر، مكتب المساحة (2018م) خريطة محلية كبكابية

–ادارة المياه الجوفية والوديان (2015م) تقرير عن الأوضاع المائة ، ولاية شمال دارفور، بيانات غير منشورة.

وزارة التخطيط العمراني، الفاشر مكتب المساحة(2011م) تقرير غير منشور

1. Khogli .M.M (1980) Sedentrazation of Nomadic Tribes In the North and Central Sudan Dissertation Submitted for Degree – University of Khartoum.